

وسمع الكيان والأسماء المفردة والكيفية والكمية والزمان والدليل والأخبار المؤلفة راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفه فإذا طالعها لم يحل منها بطائل إنما هو الجوهر يقوم بنفسه والعرض لا يقوم بنفسه ورأس الخط النقطة لا تنقسم والكلام أربعة أمر وخبر واستخبار ورغبة ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهي الأمر والاستخبار والرغبة وواحد يدخله الصدق والكذب وهو الخبر والآن حكم الزمانين مع هذين كثير والخبر ينقسم إلى تسعة آلاف وكذا كذا مائة من (ص ٤) الوجوه فإذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وقيداً للسانه وعيا في المحافل وغفله عند المتناظرين (ولقد بلغني) أن قوماً من أصحاب الكلام سألوا محمد بن الجهم أن يذكر لهم مسألة من حد المنطق حسنة لطيفة فقال لهم ما معنى قول الحكيم أول الفكرة آخر العمل وأول العمل آخر الفكرة فقالوا التأويل فقال لهم مثل هذا الرجل قال إني صانع لنفسي كذا فوقعت على السقف ثم انحدر فعلم أن السقف لا يكون إلا على حائط وأن الحائط لا يقوم إلا على أس وأن الأس لا يقوم إلا على أصل ثم ابتداء في العمل بالأصل ثم بالأس ثم بالحائط ثم بالسقف فكان ابتداء تفكره آخر عمله وآخر عمله بدء فكرته فأية منفعة في هذه المسألة وهل يجهل أحد هذا حتى يحتاج إلى إخراجه بهذه الألفاظ الهائلة وهكذا جميع ما في هذا الكتاب ولو أن مؤلف حد المنطق بلغ زماننا هذا حتى يسمع دقائق الكلام في الدين والفقه والفرائض والنحو لعد نفسه من البكم أو يسمع كلام رسول الله ﷺ وصحابته لأيقن أن للعرب الحكمة وفصل الخطاب فالحمد لله الذي أعاد الوزير أبا الحسن أيده الله من هذه الرذيلة وأبانه بالفضل وحياه بخيم السلف الصالح ورداه رداء الإيمان وغشاه بنوره وجعله هدى في الضلالات ومصباحاً في الظلمات وعرفه ما ختلف فيه المختلفون على سنن الكتب والسنة فقلوب الخيار به متعلقة ونفوسهم إليه مائلة وأيديهم إلى الله فيه مظان القبول ممتدة وألستهم بالدعاء له شافعة يهجع ويستيقظون ويغفل ولا يغفلون وحق لمن قام لله مقامه وصبر على الجهاد صبره ونوى فيه نيته أن يلبسه الله لباس الضمير ويرديه رداء الحمل ويصور إليه مختلفات القبول ويسعده بلسان الصدق في الآخرين فإنني رأيت كثيراً من كتاب أهل زماننا كسائر أهله قد استطابوا الدعة واستوطئوا مراكب العجز وأعفوا أنفسهم من كذا النظر وقلوبهم من تعب التفكير حين نالوا الدرك بغير سبب وبلغوا البغي بغية ألم ولعمري كان ذلك فأين هممة النفس وأين الأنفة من مجانستهم البهائم وأي موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه (ص ٥) بعض الخلفاء لنفسه